

أضواء البيان

@ 8 @ كُلُّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ { ، وقوله تعالى : { ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنزَلْنَاهُ فَاكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .
وأما الأمر الخامس : وهو أنه قدّر كل شيء خلقه تقديرًا ، فقد جاء أيضًا في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } ، وقوله تعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } ، وقوله تعالى : { إِنَّا كَلَّا شَيْءَ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } ، إلى غير ذلك من الآيات . وقال ابن عطية : تقدير الأشياء هو حدّها بالأمكنة ، والأزمان ، والمقادير ، والمصلحة ، والإتقان ، انتهى بواسطة نقل أبي حيان في (البحر) . .
تنبيه .

في هذه الآية الكريمة سؤال معروف ، وهو أن يقال : الخلق في اللغة العربية ، معناه التقدير . ومنه قول زهير : في هذه الآية الكريمة سؤال معروف ، وهو أن يقال : الخلق في اللغة العربية ، معناه التقدير . ومنه قول زهير : % (ولأنت تفري ما خلقت وبع % ض القوم يخلق ثم لا يفري) % .

قال بعضهم : ومنه قوله تعالى : { فَتَدَبَّرَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } ، قال : أي أحسن المقدّرين ، وعلى هذا فيكون معنى الآية { وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ } ، أي : قدّر كل شيء فقدّره تقديرًا ، وهذا تكرار كما ترى ، وقد أجاب الزمخشري عن هذا السؤال ، وذكر أبو حيان جوابه في (البحر) ، ولم يتعقبه . .

والجواب المذكور هو قوله : فإن قلت في الخلق معنى التقدير ، فما معنى قوله : { وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا } ، كأنه قال : وقدّر كل شيء فقدّره . . قلت : المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثًا مراعي فيه التقدير والتسوية فقدّره وهيأه لما يصلح له . .

مثاله : أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدّر المسوى ، الذي تراه فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا ، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الحيلة المستوية المقدّرة بأمثلة الحكمة والتدبير ، فقدّره لأمر ما ومصلحة مطابقًا لما قدّر له غير